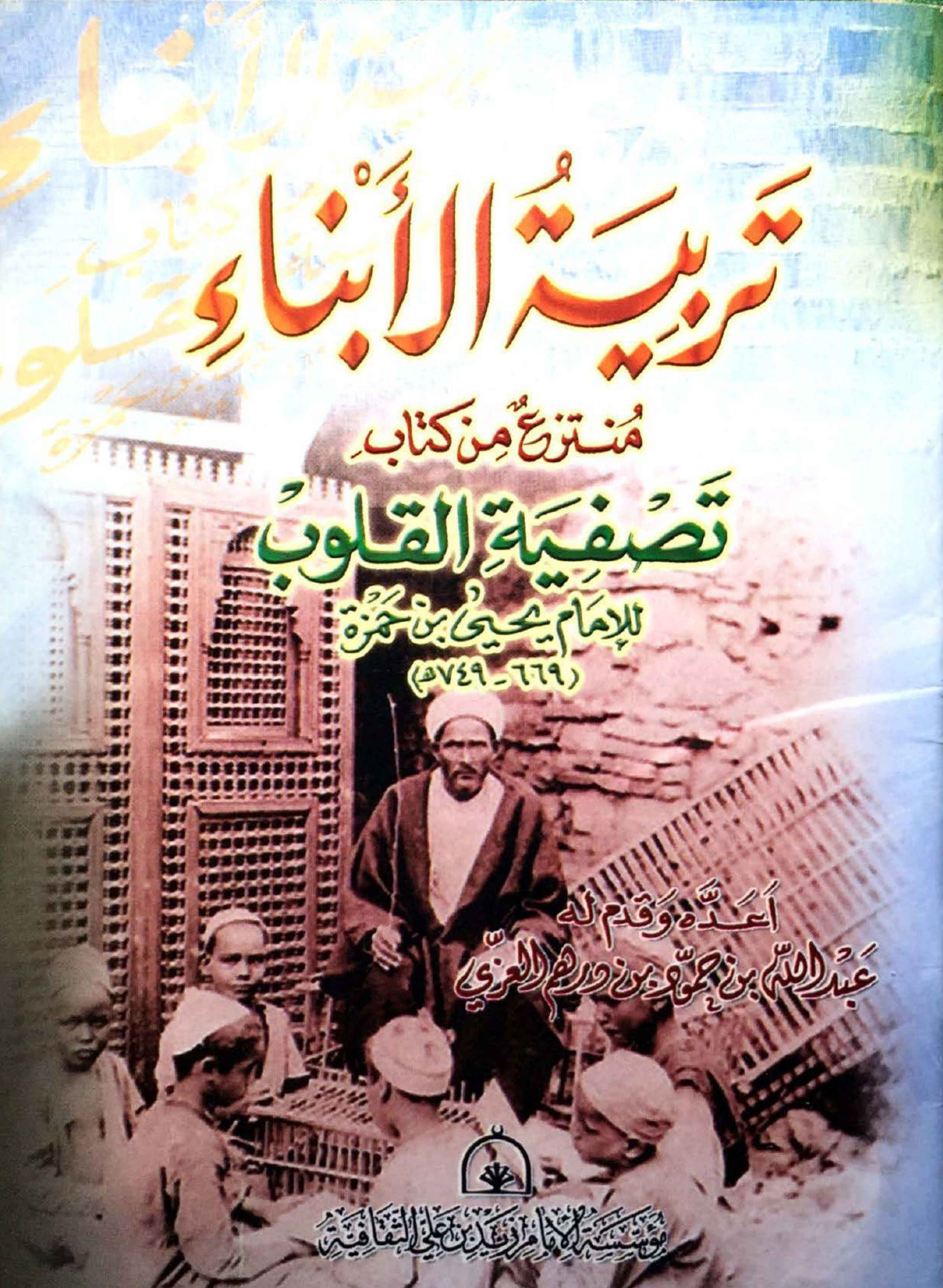


تربية الأبناء
منتزع من كتاب
تصفية القلوب
للإمام يحيى بن حمزة
(٦٦٩ - ٧٤٩هـ)
أعده وقدم له
عبدالله بن حمود بن درهم العزي
مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

الطبعة الثانية

١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

تم الصف والإخراج بمركز العدل والتوحيد للدراسات والبحوث والتراث

اليمن – صعدة

ت (٠٠٩٦٧-٧٧٧٨٩٥٣٣٨)

(٠٠٩٦٧-٧١١٦٦٤٧٥٩)

إخراج: خالد محمد عمر الزيلعي

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية

(٦٠١ / ٢٠٠٧م)

دار الإمام زيد بن علي الثقافية

صنعاء - الجمهورية اليمنية

تلفون ٢٠٥٧٧٧ فاكس ٢٠٥٧٧١



ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧٧)

فاكس (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية

Website: www. izbacf.org ; email :info@izbacf. Org

تربية الأبناء

منتزع من كتاب

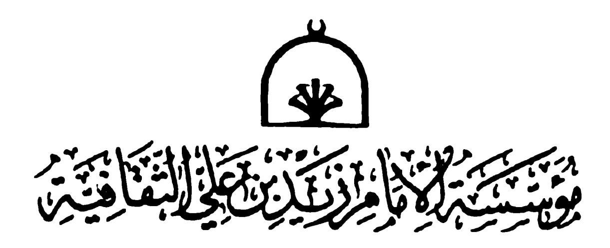
تصفية القلوب

للإمام يحيى بن حمزة

(٦٦٩ - ٧٤٩هـ)

أعده وقدم له

عبدالله بن حمود بن درهم العزي




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

للطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الأمين، صاحب الخلق العظيم، وعلى آله الطاهرين، حراس الشريعة وحماة الدين، **وبعد:**

فإن ديننا الإسلامي الحنيف اهتم اهتماماً كبيراً بالتربية وتهذيب النفس، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٧ـ ١٠].

وجعل قواعد العقيدة والشريعة والأخلاق كفيلة ببناء الشخصية الإنسانية المتزنة.

فعلى قواعد العقيدة الإسلامية يقوم بناء الشخصية، شخصية

الفرد المسلم، وشخصية الأسرة المسلمة، وشخصية المجتمع المسلم، وشخصية الدولة المسلمة.

وعلى قواعد الشريعة الإسلامية تنتظم العلاقات والروابط، وتتحدد الحقوق والواجبات، وتتحقق العدالة، ويستتب الأمن والسلام، وينتشر الرخاء والوئام.

وعلى قواعد الأخلاق الإسلامية ينشأ التكامل، والتضامن، وتزدهر الفضائل والمكارم.

على هذه الدعائم الثلاث (العقيدة، الشريعة، الأخلاق) يقوم بناء الشخصية المؤمنة، وإذا سقط أحدها اختل البناء، فربما عاملك شخص ما بلطف، ونظر إليك بوجه طليق، وهذا شيء حسن، لكن ما فائدة ذلك إذا كان هذا الشخص لا يذكر لله عهداً؟ ولا يشكر له نعمة؟

هل تعده شخصاً فاضلاً ؟!

لأنه أحسن معاملتك على حين أساء معاملة ربه!!

الإنسان المتزن لا ينقسم على نفسه فيكون طيباً هنا وخبيثاً هناك، بل لا بد أن تسود خلاله صبغة واحدة ووجهة ثابتة، ويحكم شريعة الله في جميع أعماله وتصرفاته، ولا يجد حرجاً فيما وجهه الله وقضى به رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وعندما نقرأ نصح لقمان عليه السلام لابنه نراه يمزج بين حسن معاملة الله، وحسن معاملة الناس: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٧-١٩].

ومن الملاحظ أن الحضارة الحديثة أغفلت الجانب الإلهي، وأسقطته من كل حساباتها، وتركت التدين، واعتبرت تركه تقدماً.

صحيح: إن إنسان عصرنا الراهن قطع أشواطاً بعيدة في ميادين العلوم والاكتشافات، واستطاع أن يغزو الفضاء، إلا أنه في الجانب الديني ظل عاجزاً، ولذلك وقع في القلق والتوتر، ولو أنه تمسك بالجانب الديني إلى جانب ما قطعه من الأشواط الاكتشافية لشعر بالسعادة، والحياة الآمنة في الدنيا والآخرة.

فكلما تنكب الإنسان عن صراط الله المستقيم، وتخلى عن تعاليم السماء، ورسالات الأنبياء، تجرع علقم الحياة، وغصص العيش المرير.

ومن المعروف أن المدارس التربوية الحديثة، والفلسفات التربوية الغربية لم تفلح في إنقاذ الإنسانية مما هي فيه، ففي المستوى العام تجد مجتمعاً مفككك الأوصال واهن العرى، لا شيء يحكمه سوى الطغيان المادي، وفي المستوى الخاص تجد الفرد ينحدر وراء دوافع غريزته ورغائب شهوته، وعلى كل المستويات ترى ضياعاً وانحطاطاً وتفسخاً.

والحل الصحيح لهذه المشكلات ولضمان حياة سعيدة هو: العودة الحقيقية إلى تعاليم الدين الإسلامي المواتي لفطرة الإنسان وتوثيق العلاقة به، وجعل العلاقة بالناس محكومة بمعالم التقوى والخوف من الله وحده، والتأهب للقائه، واستخدام ما سخره من قوى الطبيعة استخداماً متزناً، لا شطط فيه، ولا غرور، ولا ظلم، وبهذا يحقق الإنسان أداء الأمانة التي حملها، كما حكى الله تعالى عنه بقوله ـ عزّ وجل ـ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب: ٧٢]، ويحقق الهدف المنشود من الحياة، ويكسب رضاء الله تعالى.

ولا يتأتى ذلك إلا بالتربية الإسلامية التي أصبحت ضرورة حتمية، وقضية إنسانية، لتخليص البشرية من الدمار والضياع، وإنقاذها من ويلات الحرمان والاستسلام والطغيان والظلم، وذلك بما تغرسه هذه التربية في الإنسان من العزة والكرامة والتواضع والاستقامة.

إن الإنسان اليوم أصبح داخل أسرته نفسها يشعر بالقلق والتوتر، والتفكك الأسري، فناقوس الخلاف بينه وبين أولاده يدق بين فترة وأخرى، وكذلك بينه وبين زوجاته، وسبب ذلك هو تجاهل الحقوق والواجبات التي حددها الإسلام لتنظيم العلاقات والروابط داخل الأسرة، والتي وضح من خلالها حقوق الآباء والأبناء والأزواج وواجباتهم. ومن الحسرة أن يترك الإنسان فلذات كبده بلا تربية صحيحة ولا توجيه سليم.

لذلك ولما لتربية الأبناء من أهمية عظيمة في بناء المجتمع وتقدمه وازدهاره حاولت أن أدلي بدلوي في هذا المجال، بانتزاعي هذا الكتيب الصغير الحجم، العظيم الفائدة، من كتاب (تصفية القلوب) للإمام يحيى بن حمزة عليه السلام؛ لما له من أهمية بالغة في تربية الأولاد من الولادة وحتى البلوغ.

سائلاً الله تعالى أن يوفقنا إلى تربية أولادنا تربية إسلامية صحيحة، حتى يكونوا قادرين على خدمة أمتهم، وبناء مجتمعهم، ورفع راية الإسلام عالية مرفرفة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين وآله الطاهرين.

ترجمة المؤلف

نسبه

الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن يوسف بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إدريس بن جعفر الزكي بن علي التقي بن الإمام محمد الجواد بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي بن الإمام الحسين بن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام.

مولده ونشأته

ولد بـ(حوث) في السابع والعشرين من صفر سنة(٦٦٩هـ) وقيل في صنعاء، ونشأ في ظل أسرة علوية كريمة تحب العلم وتشغف مكارم الأخلاق، وقد نشأ على منوالها محباً للعلم، شغوفاً بالأخلاق، موصوفاً بالورع، والزهد، والتقى.

عصره

عاصر عليه السلام الدولة الرسولية، في عهد الملك المظفر الرسولي (٦٤٧ـ٦٩٤هـ) الذي يعتبر من أقوى حكامها.

وعاصر بعض الأحداث والحروب التي دارت بين أئمة أهل البيت عليهم السلام وبين الدولة الرسولية، التي امتد نفوذها إلى صنعاء، إذ أن الإمام المهدي إبراهيم بن تاج الدين عليه السلام دخل صنعاء وأخذها من بني رسول وذلك سنة٦٧٠هـ، ثم زحف إلى ذمار فأسر وسجن حتى مات في سجنه عليه السلام.

وأثناء فترة اعتقاله دعا الإمام المطهر بن يحيى بن المرتضى المظلل بالغمام لنفسه، وذلك سنة ٦٧٦هـ وكان الإمام يحيى بن حمزة ذا صحبة له حتى توفي المطهر سنة ٦٩٧هـ، وكان قد شارك معه الإمام يحيى بن حمزة في قتاله ضد القرامطة سنة٦٨٩هـ، واستمر يقاتلهم قبل دعوته وبعدها، ثم دعا الإمام محمد بن المطهر لنفسه سنة ٧٠١هـ وامتد نفوذه إلى عدن، ولما توفي سنة٧٢٨هـ قام الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام سنة٧٢٩هـ، ولقيت دعوته ترحيباً من العلماء، وكان العلامة محمد بن سليمان بن أبي الرجال من المتفاعلين معها كثيراً.

وقد أقام بحصن هران شمال منطقة ذمار، واستقر به وظل يكاتب الملوك والأمراء لإقامة شرع الله وإقامة حدوده.

مصنفاته

وهو مع ذلك يواصل التأليف ونشر مذهب أهـل البيـت الحنيف، وحكي أن كرريس مؤلفاته تقدر بعـدد أيـام حياتـه، وهي كما يلي:

١ـ أصول الدين

- الشامل لحقائق الأدلة السلفية وأصول المسائل الدينية.ـ خ.
- الأحكام لأفئدة الطعام. ـ خ.
- التمهيد لأدلة التوحيد ـ خ.
- الجواب الرائق في تنزيه الخالق ـ خ.
- الجوابات الوافية للبراهين الشافية ـ خ.
- الجواب الناطق بالصواب القاطع لعرى الشرك والارتياب ـ خ.

- النهاية في علم الكلام.
- مشكاة الأنوار للسالكين مسالك الأبرار.
- المعالم الدينية ـ ط.
- الرسالة الوازعة لذوي الألباب عن فرط الشك والارتياب.
- الرسالة الوازعة لصالح الأمة عن الاعتراض على الأئمة ـ خ.
- الكاشف للغمة عن الاعتراض على الأئمة ـ خ.
- القاطع للتمويه عما يرد على حكمة التنزيه.
- مشكاة الأنوار لهدم قواعد الباطنية الأشرار ـ ط.
- طوق الحمامة في حمل الصحابة في مباحث الإمامة ـ خ.

٢ـ الحديث والآثار

- الأنوار المضيئة شرح الأربعين السيلقية.
- الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الرضي.

- مختصر الأنوار المضيئة.
- المصلح للدين الموضح سنن سيد المرسلين.
- شرح الأخبار النبوية.

٣ـ الفقه وأصوله

- الانتصار الجامع لمذاهب علماء الأمصار يقع في ثمانية مجلدات تحت الطبع.
- نور الأبصار المنتزع من الانتصار ـ خ.
- الاختيارات المؤيدية.
- العدة في المدخل إلى العمدة ـ خ.
- الإيضاح لمعاني التنقيح ـ أصول فقه. خ.
- الحاوي ـ أصول فقه. خ.
- القسطاس في القياس ـ خ.
- الكوكب الوقاد في أحكام الاجتهاد ـ خ.
- نهاية الوصول إلى علم الأصول ـ خ.
- المعيار لقرائح الأنظار.

٤ـ التصوف والزهد

- تصفية القلوب عن درن الأوزار والذنوب.
- تصفية النفوس.
- الوعد والوعيد.

٥ـ المنطق

- الفائق في علم المنطق.
- القانون المحقق في علم المنطق.ط

٦ـ النحو

- المنهاج في شرح جمل الزجاج.
- الأزهار الصافية في شرح الكافية.
- الحاصر لفوائد مقدمة طاهر.
- المحصل في كشف شرح المفصل.

٧ـ البلاغة:

🕮 الإيجاز لأسرار كتاب الطراز، طبع بتحقيق د/ رياض القرشي.

🕮 الإيجاز المتضمن لأسرار البلاغة، طبع بدار الكتب سنة١٩٨٠م.

وهنالك كتب أخرى متفرقة.

وفاته

وبعد حياة مليئة بالعطاء وإثراء التراث الفكري توفي سنة٧٤٩هـ بحصن هران عن عمر ناهز الثمانين عاماً، وقد نقل إلى مدينة ذمار ودفن بها وقبره مشهور موجود بمسجد عماد الدين، جوار الجامع الكبير.

رحمه الله رحمة الأبرار، وسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً.

مصادر ترجمته

ترجم له الكثير، وأفرد له الدكتور أحمد صبحي كتاباً بعنوان «الإمام يحيى بن حمزة وآراؤه الكلامية».

اللآلئ المضيئة ـ خ.، الطبقات ـ خ، الجامع الوجيز ـ خ، أعلام المؤلفين الزيدية: ١١٢٤ــ١١٣١، البدر الطالع: ٢/ ٣٣١، أئمة اليمن: ١/ ٢٢٨، التحف شرح الزلف ٢٧٠ـ٢٧١، مصادر الحبشي ٥٦٤ـ٥٧٠، وغيرها كثير، تركتها بغية الاختصار.

وفي الأخير:

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا صالح الأعمال، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد الأمين وعلى آله الطاهرين.

عبد الله بن حمود بن درهم العزي

اليمن – صعدة

١٤٢١/٨/٢٨هـ ــ الموافق: ٢٠٠٠/١١/٢٤م

كلام الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام حول التربية

قال الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام في كتاب (التصفية) الباب الثالث، في بيان الطريق إلى رياضة الأطفال في أول النشأة، وتهذيب أخلاقهم وتأديبهم:

اعلم أن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش، ومائل إلى ما يمال به إليه، فإن عُوِّد الخير تعوده ونشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشارك في ثوابه أبواه وكل معلم ومؤدب، وإن عُوِّد على الشر وأهمل إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه كالأب والوصي

والقائم بمصالحه، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

ومهما كان الأب يصونه من نار الدنيا فبأن يصونه من نار الآخرة أولى وأحق، وصيانته تكون بتهذيبه وتأديبه وتعليمه محاسن الأخلاق وشريف الشيم، وتختلف به الآداب باختلاف أوقاته وأحواله في التدريج فليجعل ذلك على مراتب أربع:

المرتبة الأولى
في بيان الآداب المتعلقة بأحوال الولادة

وجملتها ثمانية:

الأدب الأول: لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى، فإنه لا يدري أين الخيرة له في أيهما، وكم من صاحب ابن يتمنى أن لا يكون له ابن أو أن يكون أنثى، بل السلامة من جهتهن أكثر، والثواب فيهن أجزل، وقد قال ﷺ: «من ابتلي من هذه البنات فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»[1]، وقال عليه السلام: «من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها، وغذّاها وأحسن

---

(١) أخرجه الترمذي سننه، كتاب البر والصلة برقم (١٩١٣)، والخرائطي في مكارم الأخلاق: (٧١).

غذاءها، وأسبغ عليها من النعم التي أسبغ الله عليه، كانت له ميمنة وميسرة من النار»[1].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم، وليبدأ بالإناث قبل الذكور، فإنه من فرّح أنثى فكأنما بكى من خشية الله، ومن يبك من خشية الله حرّم الله بدنه على النار»[2].

الأدب الثاني: أن يؤذن في أذنيه عند الولادة، روى نافع عن أبيه قال: «رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسين حين ولدته فاطمة ـ رضي الله عنها ـ» وروي عن الرسول ﷺ أنه قال: «من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رفعت عنه أم الصبيان»[3].

---

(١) مجمع الزوائد: (٨/ ١٥٨)، الخرائطي في مكارم الأخلاق: (٧٠).
(٢) ابن عدي في الكامل: (٤/ ١٥٥٤)، والخرائطي في مكارم الأخلاق: (٧١).
(٣) أورده الذهبي في الميزان/ ترجمة يحيى البجلي.

الأدب الثالث: الختان في اليوم السابع، عن الرسول ﷺ أنه ختن الحسن والحسين في اليوم السابع[1]؛ ولأن فيه مخالفة اليهود؛ لأنهم يختنون أولادهم في اليوم الثالث فخالفهم الرسول ﷺ.

الأدب الرابع: التسمية للذكور والإناث، ويستحب أن يكون الاسم حسناً لأن ذلك من حق الولد على والده، وقد قال ﷺ: «إذا سميتم فأعبدوا»[2]، وقال عليه السلام: «أحسن الأسماء إلى الله: عبدالرحمن وعبدالله»[3]، ويستحب تسمية السقط لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يزال السقط محبنطياً على باب الجنة حتى يغفر لوالديه، فيقول: أنت ضيعتني وأنت تركتني لا اسم لي يقول لأبيه»[4]، ومن له اسم

---

(١) الطبراني في الصغير: (٢/ ١٢٢)، مجمع الزوائد (٤/ ٥٩،٥٧)، الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧٧)، فتح الباري (٩/ ٥٨٩)، ابن حبان(٧/ ٢٥٦،٢٥٥).

(٢) مجمع الزوائد: (٨/ ٥٠)، ابن حجر في فتح الباري: (١٠/ ٥٧٠).

(٣) مسلم في صحيحه: (٣/ ١٦٨٢) بلفظ: (أحب الأسماء)، مجمع الزوائد:(٨/ ٤٩).

(٤) انظر تخريج إحياء علوم الدين رقم: (١٤٢٠).

يكره فيستحب تبديله[1].

الأدب الخامس: يستحب أن يلقن أول ما ينطق به لسانه بـ(لا إله إلا الله) ليكون أول حديثه كلمة التوحيد وليكون مولعاً بذكر الله عز وجل.

الأدب السادس: العقيقة عن الذكر شاتان، وعن الأنثى شاة، ولا بأس بالشاة ذكراً كان أو أنثى لما روي عن الرسول ﷺ: «أنه أمر عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة، ويستحب أن لا تكسر عظامها»[2].

الأدب السابع: يستحب أن يتصدق بوزن شعر رأسه ذهباً أوفضة، وقد ورد فيه خبر روي أنه عليه السلام أمر فاطمة يوم سابع الحسن أن تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة[3].

---

(١) الحديث: «أن الرسول ﷺ بدل اسم زينب، كان اسمها بره فسماها زينب» رواه البخاري في كتاب الأدب رقم: (٦١٩٢) ولما رواه الطبراني: «أنه ﷺ بدل اسم العاص بعبدالله» انظر فتح الباري: (١٠/ ٥٧٧).

(٢) عن العقيقة وأهميتها (انظر كلام مكارم الأخلاق للطبرسي (٢٣٧-٢٤٠).

(٣) أحمد في المسند: (٦/ ٣٩٠-٣٩٢)، والترمذي في السنن برقم: (١٥١٩).

الأدب الثامن: يستحب أن يحنك بتمرة أو حلاوة لما روي عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: «ولدت عبدالله بن الزبير بقباء ثم أتيت رسول الله ﷺ فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل بطنه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك فيه»[1] فكان أول مولود ولد في الإسلام ففرحوا به فرحاً شديداً لأنهم قيل لهم إن اليهود سحرتكم فلا يولد لكم. فهذه جملة ما يتحصل من آداب الولادة والله الموفق للصواب.

---

(١) البخاري في المناقب رقم (٣٩٠٩ـ٣٩١٠) ومسلم في الأدب برقم (٢١٤٤) وأحمد في المسند: (٦/ ٩٣).

المرتبة الثانية
في الآداب المتعلقة بالرضاع

وجملة ما نذكر من ذلك آداب أربعة:

الأدب الأول: المستحب أن لا يستعمل في حضانته ورضاعته إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال؛ فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع فيه نشوء الصبي انعجنت طينته من الحرام فيميل طبعه إلى ما يناسب الحرام من الخبائث المحرمات.

الأدب الثاني: يستحب أن يكون رضاعه حتى تمام الحولين لقوله ـ عزّ وجل ـ : ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة:٢٣٣]، ولما في ذلك من كمال

التغذية باللبن؛ لأن بعد الحولين يحتاج الولد إلى ماهو اشد من اللبن وهو العيش.

الأدب الثالث: يجب على الأم إرضاع الصبي اللبأ وهو ثلاثة أيام ومن بعدها إن طلبت الأم إرضاعه فهي أحق سواء كان بالأجرة أو بغير أجرة، فإن كان غيرها ترضع من غير أجرة وهي لا ترضع إلا بأجرة فمن يكون أحق؟! فيه تردد والأقرب أنها أحق بالأجرة لأن خلاف ذلك يكون مضارة لها وقد قال تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

الأدب الرابع: جميع الغرامات المالية من الكسوة والنفقة وأجرة الرضاع كلها يكون من مال الولد إذا كان له مال، فإن لم يكن له مال فإنه يكون على الأب؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] فهذه الآداب كلها متعلقة بحال عدم التمييز والرضاع والحضانة وعدم الاستقلال بنفسه.

المرتبة الثالثة
إذا بلغ الصبي حالة التمييز

ومهما بدت من الصبي مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته ومطالعة أحواله، فإذا ظهرت في وجهه أنوار الحياء وكان يحتشم ويستحي من بعض الأفعال حتى يراها قبيحة فهذه هدية من الله تعالى إليه، وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب، وما هذا حاله فهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ، فينبغي أن لا يهمل عن رعاية الاعتناء في حقه بحسن الأدب، وجملة ما نشير إليه مما يعامل به من الآداب واحد وثلاثون أدباً.

الأدب الأول: هو أن الغالب على الأطفال الشَّرَهَ في الطعام

فينبغي أن يؤدب فيه فلا يأكل الطعام إلا بيمينه، ويقول: (بسم الله) عند أكله، وليأكل مما يليه، ولا يبادر إلى الطعام قبل غيره، ولا يحدق إلى الطعام وإلى من يأكله.

الأدب الثاني: يؤمر أن لا يسرع في الأكل، ويمضغ الطعام مضغاً جيداً، ولا يوالي بين الأكلات، ويلطف اللقمة ولا يلطخ أثوابه.

الأدب الثالث: يعوّد أكل الخبز من غير الإدام في بعض الأوقات حتى يصير بحيث لا يرى الإدام حتماً واجباً، ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه من يكثر الأكل بالبهائم، ويذم الصبي الذي يكثر الأكل عنده، ويمدح الصبي القليل الأكل حتى يقتدي بذلك.

الأدب الرابع: يحبب إليه الإيثار بالطعام وقلة المبالاة، ويمدح عنده الطعام الذي فيه خشونة ــ أي طعام كان ـ بحيث لا يكون مولعاً بالطعام اللين فيصعب عليه مفارقته.

الأدب الخامس: يستحب أن يكون لباسه من الثياب البيض دون الثياب الملونة بالصباغات المزعفرة والمعصفرة وأنواع الديباج والأبريسم، ويقرر عنده أن ذلك إنما هو من لباس النسوان والرجال الذين لاخير فيهم ولا دين لهم وأن الرجال يستنكفون عن ذلك.

الأدب السادس: أنه مهما رأى على صبي ثوباً من ديباج أو حرير أو أبريسم؛ فينبغي أن ينكر عليه فيذم على لبسه، ويزال عنه بكل حال، ولا يغتفر له ذلك.

الأدب السابع: ينبغي أن يُحفَظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة، وعن مخالطة من يرغب فيما ذكرناه؛ فإن الصبي إذا أهمل في أول النشأة خرج في الأغلب ردئ الأخلاق، كذاباً، حسوداً، سروقاً، نماماً، لجوجاً، ذا فضول ومجون، وإنما يحفظ عن ذلك كله بحسن الأدب.

الأدب الثامن: ثم إنه يستحب أن يشغل في المكتب يتعلم القرآن وأحاديث الرسول ﷺ، وخطب أمير المؤمنين ـ كرم الله وجهه ـ في التوحيد، ويعتمد في حفظ المواعظ الحسنة،

وأخبار الأبرار، وحكاية أهل الصلاح في الزهد في الدنيا، وحسن الرياضة للنفس؛ فينغرس في قلبه حب الصالحين.

الأدب التاسع: ينبغي أن يُحفظ عن الأشعار التي فيها ذكر العشاق، ويُحفظ عن مخالطة من هذه حاله في اتباع الهوى؛ فإن ذلك مهما انغرس في قلوب الصبيان فإنه يبذر الفساد في النفوس.

الأدب العاشر: أن يعوَّد كتابة الخط، وحفظ الأمثال الشعرية؛ فإن ذلك صفة كمال وزينة، وقد قال أمير المؤمنين ـ كرم الله وجهه ـ : «عليكم بحسن الخط فإنه من مفاتيح الرزق».

الأدب الحادي عشر: إذا ظهر من جهة الصبي فعل جميل وخلق حسن؛ فينبغي أن يكرم عليه، ويجازى بما يفرح به، ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه، ولا يهتك ستره في ملأ من الخلق، ولا يكاشف في وجهه، ويظهر له أن مثل هذا لا يتجاسر عليه أحد، لا سيما إذا ستره الصبي وأخفاه.

الأدب الثاني عشر: أنه إن عاد إلى ذلك فينبغي أن يعاتب سراً ويعظم عليه الأمر فيه ويقال له إياك أن يطلع عليك في مثل هذه فتفتضح بين الناس، ولا يكثر عليه العتاب في كل حين فإن ذلك يهون سماع الملامة في حقه ويسقط وقع الكلام في قلبه.

الأدب الثالث عشر: أن يكون الأب حافظاً لهيبة الكلام معه، ولا يوبخه إلا أحياناً، والأم تخوفه بالأب، وتزجره عن القبائح، وتظهر له الوعيد بشدة الأب وخوفه منه.

الأدب الرابع عشر: ينبغي أن يمنع من النوم نهاراً؛ فإن ذلك يورث الكسل في حقه، ولا يمنع من النوم ليلاً؛ لأن منعه من النوم في الليل يورث الملالة والتسخن ويضعف عن مكابدة النوم وشدة النعاس.

الأدب الخامس عشر: ينبغي أن يمنع من استعمال الفرش الوطية حتى تتصلب أعضاؤه ويستخف بدنه فلا يصبر عن التنعم، بل يعوّد الخشونة في الملبس، والمفرش، والمطعم،

والمشرب، فقد قال رسول الله ﷺ: «إياكم وفضول المطعم، فإنه يسم القلب بالقسوة».

الأدب السادس عشر: ينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح فيدعو ذلك إلى أنه يتعود فعل كل قبيح.

الأدب السابع عشر: ينبغي أن يعوّد في بعض النهار المشي في الحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويتعود الميل إليه، وإن كان ممن يعتاد الرمي ويحبه فلا بأس بشغله، وهكذا الحال في ركوب الخيل فقد قال ﷺ: «ثلاثة لا تعد من اللهو: لهو الإنسان بفرسه، ولهوه بقوسه، ولهوه بأهله»[1].

الأدب الثامن عشر: ينبغي أن يعوّد أن لا يكشف أطرافه، ولا يسرع في المشي، ولا يرخي يديه يحركهما قداماً ووراء فعل المتبختر، فقد نهى رسول الله ﷺ عن هذه المشية، وهكذا حال

---

(١) أبو داود في السنن: (٣/ ٢٨) برقم (٥١٣)، والترمذي برقم (١٦٣٧) والبيهقي: (٤/ ١٤٨).

التمطط عند المشي مكروه - أيضاً - وقد نهي عنه[1].

الأدب التاسع عشر: ينبغي أن يمنع من الافتخار على أقرانه وأمثاله بشيء مما يملكه أبواه، أو بشيء من مطاعمه وملابسه ولوحه ودواته[2]، ويعود التواضع والإكرام لكل من عاشره من الصبيان ويلطف في الكلام معهم.

الأدب العشرون: يمنع أن يأخذ على الصبيان من أمثاله شيئاً إذا كان من أهل الشرف والرئاسة، ويقرر في نفسه أن الأخذ لؤم وخسة ونزول قدر، وأن الإعطاء كرم وشرف، وإن كان من أولاد الفقراء فيقرر في نفسه أن الأخذ طمع، وفي الطمع مهانة ومذلة، وأن ذلك من دأب الكلاب فإنه يتذلل في انتظار لقمة.

---

(١) وفيه عن الرسول ﷺ: ((إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم، سلط بعضهم على بعض)). الطبراني في الأوسط برقم (١٣٢)، مجمع الزوائد (١٠/ ٢٣٧).

(٢) اللوح والدواة كانت - في الماضي - عبارة عن الدفتر والقلم في الوقت الحاضر، والنعم تتعاظم على أبناء هذا الزمان من عدة نواحي، فوسائل التعليم لم تعد تقتصر على القلم والدفتر، بل امتدت إلى الكمبيوتر والانترنيت، وغير ذلك من الوسائل الحديثة، ولكنهم لم يؤدوا حقها، ولم يستغلوها الاستغلال المطلوب في خدمة الدين ونشر الفضائل والتحذير من الرذائل.

الأدب الحادي والعشرون: ينبغي أن يقبح إلى الأولاد حب الذهب والفضة والطمع فيهما، ويحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب والسموم، فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أكثر من آفة السموم على الصبيان، بل على الأكابر من العقلاء، فإن ضرر السم ينقطع بالموت وضرر حبهما يتجدد بعد الموت.

الأدب الثاني والعشرون: ينبغي أن يُعوّد أن لا يبصق في المجلس، ولا يتمخط بحضرة غيره، ولا يستدبر غيره، ولا يكثر التثاؤب، ولا ينبسط على وجهه، ولا ينقعر على قفاه؛ فإن ذلك كله أمارة دالة على الكسل والهوان.

الأدب الثالث والعشرون: ينبغي أن يعلم كيفية الجلوس على ركبتيه على الأرض أو ناصباً قدمه اليمين واضع الأخرى على الأرض أو يقعد محتبياً بيديه، هكذا كان رسول الله ﷺ يفعل في أكثر أحواله ولا يقعد متربعاً عند الأكل ويتربع إذا كان يكتب ليتمكن من وضع اللوح في حجره.

الأدب الرابع والعشرون: ينبغي أن يمنع من كثرة الكلام، ويبين له أن ذلك من أمارة الوقاحة، وأنه عادة أبناء اللئام وأولاد السفلة من الناس، لينزجر عن ذلك ويمتنع منه، والله أعلم.

الأدب الخامس والعشرون: ينبغي أن يمنع عن الأيمان صدقاً كانت أو كذباً حتى لا يتعود ذلك في حال الصغر، ويمنع أن يبتدي بالكلام، ويعوّد أن لا يتكلم إلا جواباً، وبقدر السؤال، وأن يحسن الاستماع مهما تكلم من هو أكبر منه سناً وقدراً.

الأدب السادس والعشرون: أن يقوم لمن هو فوقه ويوسع له في المكان ويجلس بين يديه، ويمنع من لغو الكلام وفحشه، ومن اللعن، والسب، ومن مخالطة من يجري على لسانه مثل ذلك، فإن ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء، وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء.

الأدب السابع والعشرون: ينبغي أن يتعلّم شجاعة القلب، والصبر على الشدائد، وتمدح هذه الأوصاف بين يديه ولسماعه لها ينغرس في قلبه حسنها ويتعودها.

الأدب الثامن والعشرون: ينبغي له إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والعياط، ولا يستشفع بأحد، بل يصبر، ويذكر أن الصبر هو دأب أهل الشجاعة والرجال الأجواد، ويعرف أن كثرة الصراخ هو دأب المماليك والنسوان الذين لا صبر لهم على احتمال مكروه.

الأدب التاسع والعشرون: ينبغي أن يؤذن له بعد الفراغ من المكتب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب وضيقه بحيث لا يتعب في اللعب؛ فإن منع الصبي عن اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائماً ربما يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغص العيش عليه، حتى يطلب الخلاص منه رأساً، وقد أشار [رسول الله] ﷺ بقوله: «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد»[1].

الأدب الثلاثون: ينبغي أن يعوّد الأكل مع الضيف والأنس بهم؛ لئلا يكون مستوحشاً لمخالطتهم ويكون محباً لهم.

---

(١) الديلمي في (الفردوس) برقم (٣١٨١) والقضاعي في (مسند الشهاب) برقم (٦٨٢) وابن عدي في (الكامل): (١/ ٢٨٥).

الأدب الحادي والثلاثون: ينبغي أن يعلَّم طاعة والديه، ومعلمه، ومؤدبه، وكل من هو أكبر منه سناً من قريب أو بعيد أو اجنبي، وأن يكون ناظراً إليهم بعين الجلالة والتعظيم، وأن يترك اللعب بين أيديهم؛ فهذه الآداب كلها متعلقة بسن التمييز في حالة الصغر قبل البلوغ. والله أعلم.

المرتبة الرابعة
مهما قارب البلوغ وعظم تمييزه

ويشتمل على آداب خمسة:

الأدب الأول: ينبغي أن لا يتسامح له في ترك الطهارة والصلاة، ويؤمر بالصوم في بعض الأيام من رمضان تعويداً وتمريناً، وقد ورد الخبر عن الرسول ﷺ: «مروهم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم وهم أبناء عشر»[1].

الأدب الثاني: ينبغي أن يتجنبوا لبس الحرير والذهب ويعلموا كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع، ويخوفوا من أكل الحرام، ومن الكذب، والخيانة، والفحش، وكل مايعاب على الإنسان.

---

(١) أبو داود في سننه، برقم: (٤٩٤، ٤٩٥)، أحمد في مسنده: (٢/ ١٨٠، ١٨٧).

الأدب الثالث: ينبغي أن يقرر في قلبه أن الأطعمة أدوية، وأن المقصود بها أن يتقوى الإنسان بها على عبادة الله تعالى، وهكذا حال اللباس فإن الغرض به ستر العورة ولا حاجة إلى التأنق في هذين الأمرين، فإن الاشتغال بعلاجهما والتفكه بهما والمنافسة فيهما ربما كان شاغلاً عما يراد من أمر الآخرة؛ فينبغي الإعراض عنهما إلا مقدار ما تدعو إليه الضرورة.

الأدب الرابع: ينبغي أن يتحقق في نفسه أن الدنيا كلها لا أصل لها؛ لأنها غير باقية، وأن الموت قاطع لنعيمها ومزيل جميع لذاتها، وأنها دار ممر لا دار مقر، وأن الآخرة دار مقر لا دار ممر، فمتى عقل هذه الأمور كلها في أول النشوء فإنه ينتفع غاية الانتفاع.

الأدب الخامس: ينبغي أن يخطر بباله الموت وينتظره في كل ساعة، ويعلم أن الكيّس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم عند الله تعالى درجته وتتسع في الجنان نعمته، فإذا كان نشوءه على هذه الصفة كان هذا الكلام عند البلوغ واقعاً ومؤثراً

نافعاً يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر، وإن وقع النشوء - والعياذ بالله - حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر قسا قلبه عن قبول الحق، فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى، فإن الصبي خلق جوهرة قابلة للخير والشر جميعاً، وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين كما أشار إليه الرسول ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه، أوينصرانه، أويمجسانه»[1]، وبتمامه يتم الكلام على هذه المقالة في الرياضة للنفوس وغيرها كما شرحناه من قبل، والله أعلم بالصواب[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) البخاري في كتاب الجنائز برقم (١٣٨٥) أبو داود في السنن برقم(٤٧١٤).

(٢) تصفية القلوب:(٥٢-٦٢/ الطبعة الرابعة).

فهرس الموضوعات